غـزة.. "إسرائيـل" لـن تسـتطيع "إنجـاز المهمة" أبدًا

كتبه ديفيد هيرست | 22 فبراير ,2024

ترجمة وتحرير: نون بوست

إن إصرار حكومة الحرب الإسرائيلية على احتلال رفح حيث يلجأ 1.4 مليون فلسطيني طُردوا قسرًا من شمال ووسط غزة، يخفي شكوكًا متزايدة حول ما سيحققونه عندما يصلون إلى هناك. لكن رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ليس وحده الذي يصر على ذلك: "سنفعل ذلك، سوف ندمر كتائب حماس الإرهابية المتبقية في رفح"، ذلك أن زعيم المعارضة بيني غانتس يدفع أيضاً إلى ذلك: "لأولئك الذين يقولون إن الثمن باهظ للغاية، أقول بوضوح: أمام حماس خيار، يمكنهم الاستسلام وإطلاق سراح الرهائن، ويمكن لسكان غزة الاحتفال بشهر رمضان". وهذا التبجّح موجه للاستهلاك المحلي.

لقد استغرق الجيش الإسرائيلي أربعة أشهر لشق طريقه إلى قطعة أرض يبلغ طولها 41 كيلومترا وعرضها 12 كيلومترا، في المقابل استغرق الأمر ما يزيد قليلاً عن خمسة أسابيع قبل أن يتمكن التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة من الاستيلاء على بغداد في سنة 2003، وقد استخدمت إسرائيل من الذخيرة في أربعة أشهر نفس ما استخدمته الولايات المتحدة في سبع سنوات في العراق.

من الواضح أن شيئًا ما قد حدث بشكل خاطئ. إما أن الجنود الإسرائيليين ليسوا من قوات

العاصفة التي ظنوا أنفسهم منها، أو أن مقاومة حماس والمقاتلين الآخرين كانت شديدة على نحو غير متوقع، ولكن هناك شيء واحد مؤكد: إن القوات الإسرائيلية لم تقاتل وإحدى أيديها مقيدة خلف ظهرها. وفي تلخيص للحالة المزاجية في البلاد، قال عضو الكنيست من حزب الليكود، نسيم فاتوري، في الكنيست الأسبوع الماضي: "من تلقى رصاصة ربما يستحقها"، وهذا ما يحاول الجيش تحقيقه.

ظروف النزوح الجماعي

إن القصف والقصف المدفعي وضربات الطائرات المسيّرة مصممة خصيصًا لترويع المدنيين وتهيئة الظروف لنزوح جماعي. إن الخسائر البشرية الجماعية والهجمات على البنية التحتية الحيوية هي أهداف للحرب، وليست أضرارًا جانبية. وقد أدركت محكمة العدل الدولية ذلك بوضوح عندما فرضت أمراً على إسرائيل بالامتثال لاتفاقية الإبادة الجماعية. وخلف ثرثرة التهديدات، هناك لمحات من واقع أكثر قتامة للحملة البرية.

تعتقد الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية على سبيل المثال أن حماس سوف تظل قائمة كمجموعة مسلحة قادرة على شن عمليات ضد إسرائيل، وتقول إن "الدعم الحقيقي" لحماس لا يزال مرتفعا بين الفلسطينيين في غزة.

وذكرت الصُّحفية الإسرائيلية إيلانا ديان من القناة 12 أن كبار ضباط الجيش ومسؤولي الشاباك وأعضاء مجلس الأمن القومي عرضوا هذه الاستنتاجات على القادة السياسيين قبل أسبوع واقترحت أنه: "في هذا الصدد، على الأقل، لن يكون هناك نصر مطلق". وقد توصل كثيرون خارج إسرائيل إلى هذا الاستنتاج قبل أربعة أشهر.

هناك أسئلة أخرى ملحة بنفس القدر بالنسبة للقيادة العليا الإسرائيلية: هل لديهم القوات اللازمة لشن عملية كبرى في رفح وإعادة احتلال ممر فيلادلفيا دون الاضطرار إلى استدعاء المزيد من جنود الاحتياط؟ يجب أن يكون هناك قدر معين من إجهاد الحرب.

تشمل المجموعة الثانية من القضايا الوضع مع مصر المجاورة، فحتى الآن كان الرئيس عبد الفتاح السيسي يلعب الكرة مع إسرائيل عبر حدود رفح، ويسمح لإسرائيل بإملاء تدفق المساعدات إلى غزة ويستعد لتدفق اللاجئين. وقالت مؤسسة سيناء لحقوق الإنسان إن السلطات المصرية تقوم بإعداد منطقة عازلة بطول 10 كيلومترات لاستقبال النازحين الفلسطينيين. لكن إعادة احتلال ممر فيلادلفيا، وهي منطقة عازلة يبلغ طولها 14 كيلومترا على طول الحدود، سيكون بمثابة انتهاك لمعاهدة السلام التي وقّعتها مصر مع إسرائيل في سنة 1979، على الرغم من أنه ليس كافيًا لحمل مصر على تمزيقها. وأكبر مخاوف المخابرات العسكرية المصرية هو تسلل المسلحين إلى سيناء، التي تشهد بالفعل تمردًا راسخًا هناك.

العامل الثالث الذي يؤثر على الغزو البري الوشيك لرفح هو واشنطن. مثل أوكرانيا، أدركت إسرائيل أن قوتها النارية تتجاوز إلى حد كبير مخزونها من الذخائر، ولهذا يجب أن يتم تجديده باستمرار من قبل الولايات المتحدة والأمر بيد الرئيس جو بايدن لوقف أو تقييد تدفق الأسلحة هذا، خاصة أنه يبدو أنه رسم خطاً أحمر بشأن ضرورة إجلاء لاجئي رفح.

وليس هناك ما يشير إلى أن بايدن استخدم هذه الرافعة حتى الآن، بل على العكس تماما. ولكن هذا لا يعني أنه لن يهدد بذلك مع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية. لذلك من الممكن أن تكون التهديدات الصاخبة بشن هجوم بري دموي على رفح، في الوقت الحالي على الأقل، جزءًا من المفاوضات المستمرة مع حماس حول وقف إطلاق النار وتبادل الرهائن الإسرائيليين والسجناء الفلسطينيين.

ولكن دعونا نضع كل ما سبق جانبا. لنفترض أنه سيأتي الوقت الذي تسيطر فيه إسرائيل على قطاع غزة بأكمله، ما الذي ستحققه بخلاف قتل أكثر من 30 شخص؟ الخطأ الأول الذي يرتكبه نتنياهو هو اعتقاده أنه إذا قضى على ما يفترض أنها آخر أربع كتائب لحماس في رفح، فستنتهي اللعبة. حماس ليست جيشا بعدد محدود من المقاتلين، إنه تمرد، فكرة، يمكن أن تنتقل من عائلة إلى أخرى، من جيل إلى آخر، أو من حركة إلى أخرى، لقد كانت منظمة التحرير الفلسطينية في عهد عرفات علمانية، وحماس إسلامية. ولا يهم الجانب الذي يحمل الشعلة، لكن الشعلة نفسها تستمر في الاشتعال، ولا تتوهم حماس أنها قادرة على تحقيق النصر عسكريًا ضد قوة تقليدية أكبر كثيرًا.

لكن لا الجزائريين، ولا حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، ولا الجيش الجمهوري الأيرلندي، حققوا النصر في ساحة المعركة. قاتل الجميع للوصول إلى طاولة المفاوضات، لذا فحتى لو أجبرت إسرائيل حماس على الخروج من غزة – ولا أعتقد أنها تستطيع ذلك – فهل ستنتصر؟ أعلنت إسرائيل النصر عدة مرات في هذا الصراع المستمر منذ 75 عامًا، وأعلنت النصر سنة 1948 بطرد 700 ألف فلسطيني من مدنهم وقراهم.

اعتقدت إسرائيل أنها سحقت ثلاث قوات عربية في سنة 1967، وأعلن أرييل شارون النصر بعد 15 سنة عندما أجبر ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية على الخروج من بيروت، وبعد خمس سنوات من ذلك اندلعت الانتفاضة الأولى. وعندما انهارت مفاوضات السلام، اندلعت الانتفاضة الثانية. ظنت إسرائيل مرة أخرى أنها قادرة على سحق القضية الوطنية الفلسطينية بمحاصرة ياسر عرفات في مقره في رام الله وتسميمه، هل كان ذلك انتصارًا؟

واليوم، تعتقد إسرائيل أنها قادرة على سحق حماس في غزة بقتل أربعة رجال، من بينهم يحيى السنوار ومحمد ضيف، اللذين يحتلان مكانة خاصة. إن قائمة القادة الفلسطينيين الذين قُتِلوا في هذا الصراع طويلة بالفعل، عز الدين القسام، داعية مسلم وقائد في النضال القومي العربي، قُتل على يد

البريطانيين في سنة 1935.

كمال عدوان، أحد كبار قادة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية، قُتل خلال غارة إسرائيلية على لبنان سنة 1973. خليل الوزير، أحد كبار مساعدي عرفات، اغتيل في منزله في تونس على يد قوات كوماندوز إسرائيلية. أحمد ياسين، الزعيم الروحي لحركة حماس، قُتل عندما أطلقت مروحية إسرائيلية صاروخاً عليه بعد صلاة الفجر في مدينة غزة. وقُتل أيضًا عبد العزيز الرنتيسي، أحد مؤسسي حماس، بصواريخ أطلقت من مروحية أباتشي. وفتحي الشقاقي، المؤسس والأمين العام لمنظمة الجهاد الإسلامي في فلسطين، أطلق عليه اثنان من عملاء الموساد النار خمس مرات في مالطا، وكذلك أبو علي مصطفى، الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

ولكن ما الذي حققته عمليات القتل هذه سوى إطلاق موجة أخرى أقوى من المقاومة، لإدخال جيل آخر من المقاتلين الذين قسى عليهم التاريخ بأيدي المحتلين؟

ذكرى المذابح

إن التاريخ تغذيه الذاكرة الجماعية، وقد انتقلت شفهيًا ذكرى مذابح حرب 1948، مثل الطنطورة وصبرا وشاتيلا 1982، لم يكن هناك إنترنت في ذلك الوقت، ولم يكن هناك سوى القليل من مقاطع الفيديو، وكانت الكلمات قوية بما يكفي لإلهام الأجيال القادمة للمقاومة. وقد استفادت إسرائيل كثيرًا من مجموعة مقاطع الفيديو التي تظهر عمليات القتل التي نفذتها حماس ومقاتلون آخرون من غزة على الكيبوتسات في 7 تشرين الأول/أكتوبر.

إذا كانت هذه المقاطع ترعب مشاهديها، فما علينا إلا أن نتخيل مدى تأثير أربعة أشهر من مقاطع وسائل التواصل الاجتماعي للمذابح التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية في غزة على الأجيال القادمة من الفلسطينيين. إن النكبة التي ارتكبتها إسرائيل في غزة خلال الأشهر الأربعة الماضية تم توثيقها بشكل أفضل بكثير من نكبة سنة 1948، وستبقى هذه الصور على شبكة الإنترنت إلى الأبد. فلماذا تعتقد إسرائيل أن هذه النكبة سوف تتبخر في الوعي الشعبي عندما ينتهي القتال؟

إن عدد سكان الأردن يبلغ 11.15 مليون نسمة، أكثر من نصفهم بقليل من الفلسطينيين المنحدرين من اللاجئين المطرودين من الضفة الغربية والقدس الشرقية وغزة. وحتى لو استبعدنا القبائل الأردنية في الضفة الشرقية – التي دعمت غزة بصوت عالٍ مثل الفلسطينيين – فإن هذا يعني أن عدد الفلسطينيين في الأردن يبلغ ثلاثة أضعاف عدد الفلسطينيين في غزة، وهم غاضبون، وأحوالهم ميسورة نسبيا، ولديهم إمكانية الوصول إلى سوق الأسلحة المزدهرة. علاوة على ذلك، لدى الأردن حدود يسهل اختراقها مع سوريا والعراق، حيث ترغب الجماعات المدعومة من إيران في المشاركة.

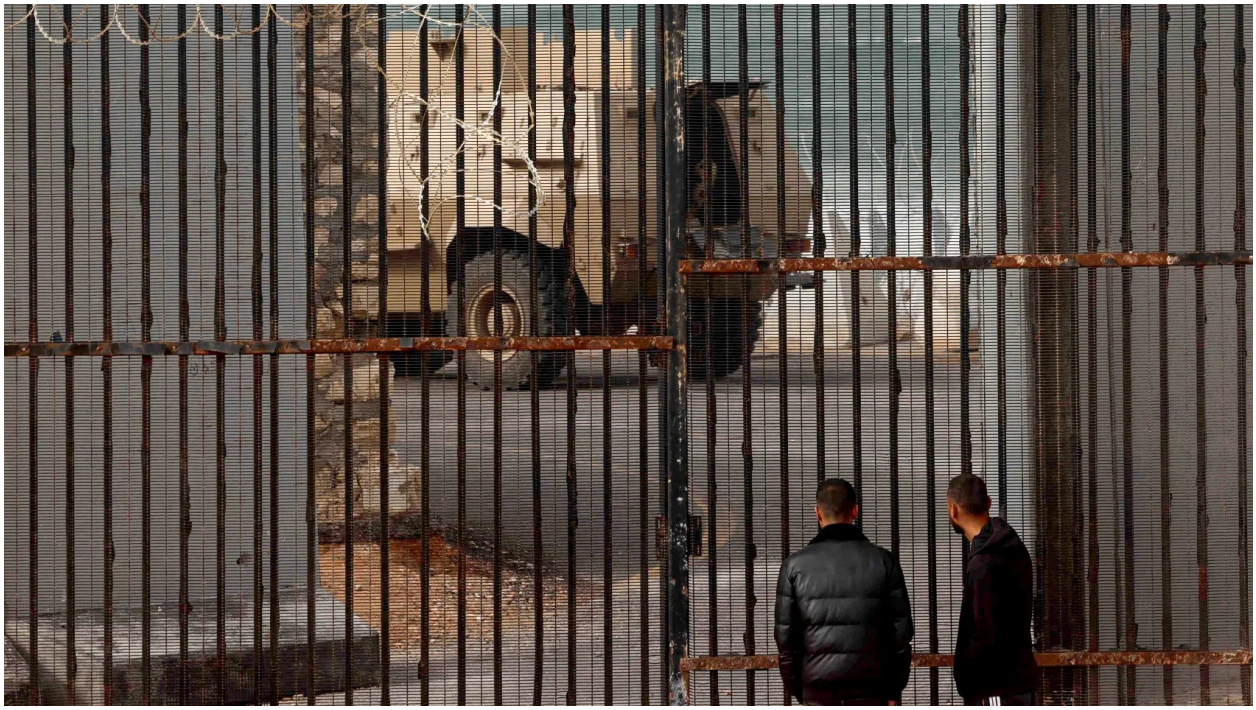

رجال فلسطينيون نازحون يشاهدون ناقلة جنود مدرعة تابعة للجيش المصري بالقرب من السياج الحدودي بين غزة ومصر في رفح في 16 شباط/فبراير 2024.

هذا يجعل الأردن أرض التجنيد المثالية للموجة القادمة من المقاتلين الفلسطينيين. والآن من ذا الذي قد يسعى بكامل قواه العقلية إلى تهدئة حدوده الجنوبية من هجمات العدو على حساب إعادة تنشيط الحدود الشرقية الأطول بكثير؟ من يستبدل 60 كيلومترًا من الحدود غير الآمنة بـ 482 كيلومترًا؟

شعور أعمى بدور الضحية

لا ترى إسرائيل ومؤيدوها سوى تاريخهم ولا يسمعون إلا أصواتهم، ولا يمكنها رؤية ما يعنيه أن تكون على الطرف المتلقي لدولتهم الآخذة في التوسع. ولا يمكنها أن ترى أن الفلسطينيين في رفح، الذين نزحوا عدة مرات أثناء نزوحهم إلى الجنوب، هم أنفسهم أحفاد اللاجئين من البلدات والمدن التي تشكل اليوم جزءًا من إسرائيل – بئر السبع ويافا والنقب. ولا تستطيع رؤية الرمزية القوية لما تفعله، وأنه في محاولتها لسحق غزة، فهي تحاول سحق الأمة الفلسطينية بأكملها، وإذا نجحت إسرائيل في غزة، فإن كل فلسطيني في إسرائيل، أو القدس الشرقية المحتلة، أو الضفة الغربية، سيعتقد أنه التالي.

إن شعور إسرائيل بدور الضحية والمصير التاريخي يعميها عن المعاناة التي تسببها، وفي نظرها لا يمكن أن يكون هناك سوى ضحية واحدة للتاريخ: ضحية يهودية. ولا يوجد مكان لأي شخص آخر في هذه النظرة للعالم، الفلسطينيون ليسوا غير مرئيين فحسب، بل غير موجودين، لكن القضية الوطنية الفلسطينية موجودة بالتأكيد.

في السنة الماضية، أعلن نتنياهو نهاية الصراع مع التوقيع الوشيك للمملكة العربية السعودية على اتفاقيات إبراهيم. وبعد أسابيع قليلة، تورطت إسرائيل في أطول حرب خاضتها منذ سنة 1947. واليوم، دفعت هذه الحرب القضية الفلسطينية إلى قمة أجندة حقوق الإنسان في العالم. ورغم هذا فإن جيش نتنياهو، مثل المقامر الذي يرمي النرد من أجل رهانات متزايدة الارتفاع، يتنقل من مستشفى إلى آخر، ويفشل في العثور على مخبأ حماس، ولكنه يدمر النظام الصحي في غزة بكل تأكيد، منتقلًا من الشمال إلى الجنوب معلنًا أن النصر وشيك.

قال بيني موريس، المؤرخ اليساري السابق الذي تحول إلى اليمين، لصحيفة فرانكفورتر ألجماينر إنه يكره نتنياهو بشدة: "إنه محتال، لكنه على حق في أن الحرب يجب أن تستمر حتى يتم سحق حماس، على الأقل لأنه في جميع أنحاء المنطقة، سينظر إلينا على أننا خاسرون إذا لم ننجز المهمة". لدي أخبار للمؤرخ موريس: إسرائيل لن "تنجز المهمة" أبدًا. وليس أمامها سوى خيارين: إما أن تحذو حذو ايتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش في سعيهما لتحويل الحرب على الأرض إلى حرب دينية، أو الجلوس مع قيادة يتمتع الفلسطينيون بحرية اختيارها لمناقشة كيفية تقاسم الأرض على قدم المساواة. وأنا أعرف الخيار الذي كنت لأتخذه.

المصدر: ميدل إيست آي

رابط المقال : https://www.noonpost.com/200220/